مِيقَاتُ يَلَمْلَم
(دراسة تاريخية وتحقيق ميداني)

الأستاذ جواد الفضلي

مِيقَات يَلَمْلَم

تمهيد.

يَلَمْلَم لغويًّا.

يَلَمْلَم إداريًّا.

يَلَمْلَم جغرافيًّا.

يَلَمْلَم حديثيّاً.

يَلَمْلَم فقهيًّا.

يَلَمْلَم حاليًّا.

يَلَمْلَم في الأدب العربي.

سؤالان محوريان.

تمهيد:

لا شكّ في أنَّ معرفة مواقع المواقيت المكانية،[1] التي وقَّتها رسول الله ﷺ من أهمِّ مسائل الحجِّ؛ فقد أجمع المسلمون على وجوب الإحرام من أحدها؛ فلا ينبغي لحاجٍّ ولا لمُعْتَمِرٍ أن يُحْرِم قبلها ولا بعدها.[2]

ونظراً لتغير موقع الإحرام في غير ميقات لأسباب مختلفة، ومنها على سبيل المثال: صعوبة الوصول إلى المكان الأصلي الذي أحرم منه الحجاج في عصر النصّ كما حصل مع ميقات يَلَمْلَم، وقد يكون السبب سياسي بحتاً كما حصل مع أول أمكنة ميقات العقيق.[3]

ولهذا فنحن ملزمون ـ كمسلمين ـ بدراسة واقع أمكنة المواقيت في عصر النصّ وما تلاه من عصور وخصوصاً في عصرنا الحالي حيث تشهد مواقيت الإحرام والطرق المؤدية لها تطوراً مُتسارعاً.

والدراسات حول المواقيت المكانية ـ بشكلٍ عامّ ـ وفيرة جدّاً إلّا أنّ الميدانية منها لم تكن بتلك الوفرة مع نظيرتها النظرية.

وفيما يخصّ الدراسات الميدانية حول ميقات يَلَمْلَم الذي نحن بصدد دراسة واقعه الحالي ميدانياً فهي قليلة جداً إذا ما قُورِنتْ بمثيلاتها من الدراسات للمواقيت الأُخرى، ولعلّ أبرز دراستين ميدانيتين للموقع ـ خلال الخمسين سنة الماضية ـ الدراستان التاليتان:

---

١. المواقيت: جمع ميقات، والمراد منه الأمكنة المعينة ـ شرعاً ـ للإحرام.

٢. الوسائل، ١١: ، الباب الأول من أبواب المواقيت، صحيح أبوحسن الحلبي.

٣. ينظر دراستنا الميدانية لميقات العقيق الصادرة عن دار الولاء في بيروت، والمنشورة في العدد ١٥٩ من موسوعة الموسم الهولندية، وفي العددين ٥٥ و٥٦ من مجلة ميقات الحج الصادرة في قم المقدسة.

- دراسة الشيخ عبد الله البَسّام،[1] الميدانية التي قام بها عام ١٤٠١هـ بتكليف من الحكومة السعودية.
- ودراسة سماحة سيدي الوالد ﷾ الفقهية والميدانية التي قام بها عام ١٤٠٩هـ.

والدراستان بلا شك من الدراسات القيمّة جداً نظراً لكون الشيخ البَسّام والعلّامة الفضلي جمعا بين الدراستين الدينية والأكاديمية ومن المُحقّقين البارزين في العصر الحالي.

وأخال أنَّ دراسة واقع ميقات يَلمْلَم الحالي تُحتِّم علينا معرفة واقعه في عصر النصّ وما طرأ عليه من تغيرات عبر العصور، وهذا يتطلب منا الإجابة عن عدد غير قليل من الأسئلة التي تثار حوله، ومنها على سبيل المثال:

١. هل يَلمْلَم: هو اسم جَبَلٍ مِن جِبَالِ تِهَامَة أم اسم وَادٍ،[2] من أودية تِهامَة؟[3]

---

١ الشيخ البَسّام (ت١٤٢٣هـ): فقيه ومؤرخ سعودي، رئيس محكمة التمييز بمكة المكرمة من ١٤٠٠هـ وحتى عام ١٤١٧هـ، وله العديد من المؤلفات الفقهية.

٢. الوادي: أُخْدُودٌ كبيرٌ بين الجبال، تسيلُ فيه روافدُ عديدةٌ؛ فيؤدِّي ماؤها إلى فضاءٍ أوسعَ، أو إلى البحر. وتختلف الأودية من ناحية السعة والضيق والطول، والعمق، وتبعاً لذلك تختلف كمية المياه المتجمعة في الأماكن المنخفضة منها أو في جوفها أيضاً، وللاستفادة من مياهها في فصل الصيف فقد عمد العرب قديماً إلى تعمير الآبار وعمل البرك قرب الأودية والسكن بقربها. ولهذا نجد أنّ الأودية تضم العديد من القرى والهجر، فعندما يقول أحدهم، على سبيل المثال: وادي فاطمة، أو وادي الفرع، أو وادي القاحة، أو وادي الجُحفة، أو وادي الأبواء فإنّهم يعنون بذلك الوادي نفسه والقرى التابعة له.

٣. تِهَامَة: الأرضُ المنخفضةُ بين ساحل البحر والجبال، والمراد منها هنا: الأرضُ المنخفضةُ التي تبدأ من مكَّة شمالاً إلى صنعاء جنوبًا، والجمع: تَهائمُ، ولهذا يصحّ القول بأنّ: يَلمْلَم وادٍ من أودية تِهَامَة، ويصحّ كذلك القول بأنّ: يَلمْلَم جبل يَلمْلَم من جبال تِهَامَة، والنسبة إلى تِهَامَة: تِهاميٌّ، ومنه قولنا: النّبيّ التِهاميّ ﷺ؛ لأنّ النبيّ ﷺ من مكة المكرمة ومكة من مدن تِهَامَة.
يقول الشاعر البرعي:

تصلى الحنينَ إلى غويرِ تهامةٍ هيهاتَ منكَ تهامةٌ يا منجدُ

٢. وهل ميقات أهل اليَمَن هو: خصوص جبل يَلمْلَم أم وادي يَلمْلَم بأكمله؟

٣. وهل الإحرام من قرية السَّعْدِيَّة ـ ثاني مكان أحرم منه أهل اليَمَن ـ أو من قرية سعيا ـ مكان الإحرام الحالي ـ يكون نصاً أو مُحاذاة؟[1]

٤. وأين يقع وادي يَلمْلَم، وما هي أبعاده، وكم تبلغ مساحته، وما هي أشهر القرى المطلة عليه؟

٥. وما هي الطرق المؤدية إلى وادي يَلمْلَم؟

٦. وأين يقع جبل يَلمْلَم وما هو حجمه وشكله؟

٧. وما هو واقع أمكنة الإحرام الثلاثة التي أحرم منها أهل اليَمَن عبر التاريخ -يَلمْلَم، والسَّعْدِيَّة، وسعيا - وما هي الطرق المؤدية إليها حالياً؟ وغيرها من الأسئلة.

ولأنَّ الأسئلة متنوعة ومتشعبة أصبح لزاماً علينا أن تُلم دراستنا بكُلِّ ما يتعلق بواقع يَلمْلَم: (لغوياً)، و(إداريًّا)، و(جغرافيًّا)، و(حديثيًّا)، و(فقهيًّا)، و(حالياً)، وما نُظم فيه من أبيات شعرية.

ولأنّ السؤال الثاني ـ في تصوري ـ أهمّ الأسئلة المتقدّمة، ارتأيت أن أجعل له مبحثاً خاصاً به في خاتمة الدراسة، تحت عنوان: (رأيان محوريان)، أحدهما لفقيه من أهل السُّنة والآخر لفقيه إمامي.

ولأجل هذا كلّه فقد استعنتُ بالدراستين آنفتي الذكر، وبدراسات المُحققين الجغرافيين والباحثين الجيولوجيين المعاصرين.

أمّا بالنسبة لدراسة واقع وادي يَلمْلَم وأمكنة الإحرام الثلاثة ميدانياً فقد استعنتُ

١. المُحَاذاة: في اللغة تعني الموازاة، وفي المصطلح الفقهي هي مكان للإحرام في الحجّ والعمرة فإذا وقف الحاج أو المعتمر مقابل الكعبة الشريفة يكون الميقات عن يمينه أو شماله مع عدم البعد الكثير.

بالخرائط الجغرافية والصور الفضائية الحديثة لمنطقة مكة المكرمة بشكلٍ عامّ وبالجزء المتعلق منها بوادي يَلمْلَم بشكلٍ خاصّ.

وقمتُ في يوم الثلاثاء الثالث عشر من شهر ديسمبر لعام٢٠٢٢م، برحلة ميدانية لموقع الدراسة، فانطلقت من مدينة جدة صباحاً بسيارتي ذات الدفع الرباعي عبر الطريق الساحلي السريع الرابط بين محافظة جدة ومحافظة الليث قاصداً وادي يَلمْلَم وأمكنة الإحرام الثلاثة، وكنت حريصاً أن أسمع من أحد أهالي قرية سعيا عن موقع مصب وادي يَلمْلَم أو نهايته، ولحسن الحظ فقد التقيت بالشريف سامي الشنبري أحد شباب القرية المُلمين بواقع القرية والأودية المحيطة بها، فدلني ـ جزاه الله عنا كُلّ خير ـ على موقع (خبت الغصن)،[1] حيث يصب وادي يَلمْلَم سيله، وكان هدفي من السؤال هو أن أتأكد بنفسي إن كانت الخرائط التي تُشير إلى أنّ مسجد الميقات الحالي الواقع في قرية سعيا يقع داخل حدود وادي يَلمْلَم مطابق للواقع أم غير مطابق؛ لأنّ قرية سعيا بحسب الخرائط الجغرافية والجيولوجية تقع قبل مصب الوادي في خبت الغصن، فوجدت كلام الشريف سامي مطابقاً تماماً لما جاء في الخرائط.

ولأنّ بعض المصادر تذكر أنّ وادي يَلمْلَم يصب في البحر الأحمر فقد سألت الشريف سامي لكي أتأكد من المعلومة، فقال: نعم، إذا كان السيل قويًّا وجارفاً، وذكر أنّ هذا قد حصل فعلاً في عام ١٤١٦هـ.

وأخيراً:

لا بُدّ لي أن أتقدم بخالص الشكر للصديق العزيز السيد عبد الهادي الهاشم الذي وَفَرَ لي ما أحتاج له من مصادر مطبوعة ومخطوطة، وأن أشكر الأخوة الأعزاء الذين

١. الخبت: الأرض الرملية الواسعة، والغصن: نبات بري.

رافقوني في رحلتي، وهم: الأستاذ مرزوق العمري الخبير بأودية تِهَامَة، والأستاذ خالد بن عويّض العلّاسي الخبير بالطرق المؤدية لوادي يَلَمْلَم، والسيد الدكتور عادل الحسين الذي جادت قريحته بهذه الأبيات المعبرة:

لَـمْلَمْتُ إِحْرَامِي أُرِيدُ (يَلَمْلَمَا) أَمضِي إِلَى مِيقَاتِهِ كَيْ أُحْرِمَا
فَوَقَفْتُ عِندَ جِبَالِهِ وَسُهُولِهِ عَلِّي أَرَى بِئرًا تَمُدُّ المُحْرِمَا
قَالُوا بِأَعْلَى قَرْيَةٍ فِي سَهْلِهِ مَعْرُوفَةٍ بِـ(يَلَمْلَمِ) كَي تُرسَمَا
وَالبَعْضُ قَالَ بِأَسفَلِ الوَادِي بِـ(سَعْيَا) حَيثُ فِيهَا شَيَّدُوا ذَا المَحْرَمَا
فَوَجَدْتُهَا (سَعدِيَّةً) مَملُوءَةً بِالمَاءِ تَحكِي مَعلَمًا مُتَوَسِّمَا
هَل يَا تُرَى الوَادِي بِأَكمَلِهِ يُعَدُّ (يَلَمْلَمًا) فَلتَسأَلُوا مَنْ أَعلَمَا
وَلتَسأَلُوا التَّارِيخَ وَالأَعلَامَ فِي أَرجَائِهِ مَن أَحرَمُوا كَي يُحسَمَا

يَلَمْلَم لغويًّا:

يَلَمْلَم: من الفعل (لَمْلَم): لملمَ يَلَمْلَم، لملمةً، فهو مُلملِم، والمفعول مُلَمْلَم.

واللَّمُّ: مصدر لَمَّ الشيء يَلُمُّه لَمًّا، جمعه وأصلحه، ولَمَّ الله شَعَثَه: جمع ما تفرق من أموره وأصلحه.

واللُّمَةُ: الجماعةُ من الرِّجال والنِّساء أيضاً، وفي الحديث: جاءتْ فاطمة إلى أبي بكر في لُمَيْمةٍ من حَفَدها ونساء قَومها.[1]

وتقول: لَمْلَمَ الشَّيءَ: أي جمعَه، ولَمْلَمَ حَوَائِجَهُ: أي جَمَعَهَا، وجَيْشٌ لَمْلَمٌ، أَي: كَثِيرٌ مُجْتَمِعٌ.

١ معجم العين، ٨ : ٣٢٣.

وَيُقَالُ للكلمة: (أَلَمْلَم، و يَرَمْرَم)،[1] و (مَلَمْلَم)،[2] و (المُسَلَّمُ)،[3] و(لَمْلَم)،[4] و(أَرَمْرَم).[5]

والعرب تُطْلق على جنوب الكعبة يمن، وعلى ركني الكعبة الذي فيه الحجر الأسود، والركن اليماني مجتمعين بـ(الركنين اليمانيين)، و(رُكْنَيْ يَلَمْلَمَ)، ومنه:

قول عبد الملك،[6] لهارون الرشيد عندما أراد قتله: «فقد وَالله سَهَّلْتُ لَكَ الوُعُورَ، وَجَمَعْتُ عَلَى طَاعَتِكَ الْقُلُوبَ فِي الصُّدُورِ، وَشَدَدْتُ أَوَاخِيَ مُلْكِكَ بأوثَقَ من رُكْنَيْ يَلَمْلَمَ...».[7]

وقول الشاعر اللبناني حسن قشاقش:

عَجِبتُ لَهُ كَالغُصْنِ نَاحِل خَصرهُ وَيَحْمِل من رد فِيهِ رُكنَي يُلَمْلِم

---

١ قال الزبيدي في التاج: «ويَلَمْلَمُ أَوْ أَلَمْلَمُ أَوْ يَرَمْرَمُ، الثَّانِيَةُ على البَدَلِ: (مِيقَاتُ) أَهْلِ (اليَمَن) لِلإِحْرامِ بالحَجِّ، وَهُوَ (جَبَلٌ على مَرْحَلَتَيْن من مَكَّة)، وَقد وَرَدْتُه». وعلَّق الشيخ عبد الله البَسّام القاضي بمحكمة التمييز في مكّة المكّرمة على كلام الزبيدي، بقوله: والغريب أنَّ الزُبيدي شارح القاموس: مُحْرِمٌ من هذا الوادي ـ كما ذكر ـ ولكنه لم يبسط عليه ولم يُفدنا عنه رحمه الله وسامحه. مجلة العرب، العدد ١٨، سنة ١٩٨٣م.

٢. يقول سماحة سيدي الوالد ﷺ: «سمعتُ عند زيارتي للمنطقة من بعض أفراد قبيلة (فَهْم) القاطنين في أرض (الوَدْيان) من مركز يَلَمْلَم ثلاث لهجات، هي: يَلَمْلَم وألَمْلَم، ومَلَمْلَم»، ينظر: بحوث فقهية معاصرة، :٩١، مركز الغدير للنشر، بيروت.

٣. الحاوي الكبير، للماوردي، ٤: ٦٧.

٤. صفة جزيرة العرب، للهمداني، :٣٢٦.

٥. حاشية الجمل على شرح المنهج، للعجيلي الأزهري المعروف بالجمل، ٢: ٤٠٢.

٦. عبد الملك بن صالح بن العباس: أمير من بني العباس، ولاه الهادي إمرة الموصل سنة ١٦٩ هـ، وعزله الرشيد سنة ١٧١ هـ، ثم ولاه المدينة، وبلغه أنه يطلب الخلافة، فحبسه ببغداد سنة ١٨٧ هـ، ولمّا مات الرشيد أطلقه الأمين وولّاه الشام فأقام بالرّقة أميراً إلى أن توفّي.

٧. الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ٦: ١٨٢.

ولأهل المنطقة اليوم ثلاث لهجات، وهي: يَلَمْلَم، وأَلَمْلَم، ومَلَمْلَم.

يَلَمْلَم إداريًّا:

ينصرف لفظ يَلَمْلَم تارة إلى جبل يقع في قرية يَلَمْلَم، وتارة أُخرى ينصرف اللفظ إلى القرية يقع فيها الجبل والتي تطل على وادي يَلَمْلَم، وتارة ثالثة إلى الوادي الواقع في تِهَامَة والذي تقع على ضفافه القرية التي تضمّ الجبل، وهذا متعارف عليه عند العرب وهو من باب تسمية الشيء باسم جزئه أو باسم مجاوره.

وكيف ما كان فالحديث عن يَلَمْلَم إداريًّا لابُدّ أن يكون عن القرية، والجبل، والوادي كلاً على حِدَة:

قرية يَلَمْلَم: قرية صغيرة من قرى تِهَامَة تتبع إداريًّا محافظة الليث التابعة إلى منطقة مكة المكرمة، وتقع على بُعد ٩ كم شمال مدينة الليث، و٨٥ كم جنوب مدينة مكة المكرمة، وهي أوّلى قُرى محافظة الليث التي تواجه القادم من جهة مكة المكرمة ومدينة الطائف.

وهي من الأمكنة المعروفة قبل الإسلام، ففيها حصلت وقعة ذات نكيف،[1] كما أنها كانت مرحلة من مراحل طريق أهل اليَمَن إلى مكة.[2]

أمّا مع ظهور الإسلام فقد تميّزت بكونها أصبحت مَحْرماً لأهل اليَمَن والقادمين إلى مكة عبر طريق تِهَامَة الساحلي،[3] ومنها أهلَّ أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

١. نكيف: كوصيف، ويوم نكيف أو ذي نكيف وقعة حصلت بين قريش وكنانة، وكان قائد قريش يومئذ المطلب بن عبد مناف، معجم البلدان ٨: ٣١٥.

٢. تقدر المرحلة أو الليلة بـ (٥٠ كم) وقد تنقص أو تزيد قليلاً؛ نظرًا لاختلاف سرعة وسائل النقل وسهولة أو وصعوبة الطرق التي كانت تسلك قديمًا.

٣. قلنا: (عبر طريق تهامة)؛ لأنّ لليمن طريقين إلى مكة ـ كما سيتّضح لاحقاً ـ.

للحـجّ،[1] ويُذكـر أنّ إحدى سرايا النّبيّ ﷺ لإزالة آثار الشـرك كانـت إلى يَلَمْلَم.[2]

واسـتمرت قريـة يَلَمْلَـم مهـلاً لأهـل اليَمَـن منـذ عهـد رسـول الله ﷺ وحتّـى بداية القـرن العـاشر الهجري عندمـا تحوّل مـكان الميقات إلى منطقة السَّـعْدِيَّة، وحينهـا هُجِرتْ قريـة يَلَمْلَـم فلـم تعد لا مَهـلاً لأهل اليَمَـن وسـالكي الطريـق التِهَامـي، ولا مرحلة من مراحـل الطريق.

وادي يَلَمْلَـم: وادٍ عظيـم مـن أوديـة تِهَامَـة يقع في منطقـة مكة المكرمـة في جنوب مكة بالتحديـد، وأعـلاه يتبـع محافظة الطائف إداريًّا، ووسـطه وأسـفله لمحافظـة الليث.

جبـل يَلَمْلَـم: جبـل متوسـط الحجم مـن جبـال تِهَامَـة المُطلة عـلى وادي يَلَمْلَـم ويقع بالتحديـد في قريـة يَلَمْلَـم، مقابـل مركـز القريـة الإداري، وقمتـه تشـبه إلى حـدٍّ بعيد قمة جبـل النـور بمكـة المكرمة، ويسـمّى حاليـاً بجبـل (الحرقفة).

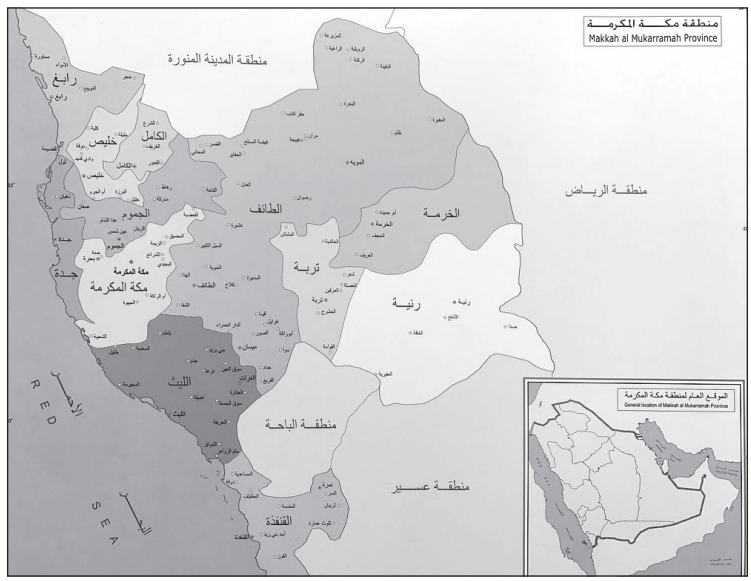

شكل (٣): خريطة منطقة مكة المكرمة وتظهر فيها موقع محافظة الليث.

١. موسوعة التاريخ الإسلامي، اليوسفي الغروي، ٣. ٥٩٥.

٢. التنبيه والإشراف، للمسعودي، ١: ٢٣٣.

شكل رقم (٤) خريطة محافظة الليث ويظهر عليها موقع قرى: يَلَمْلَم، والسَّعْدِيَّة، وسعيا.

يَلَمْلَم جغرافيًّا:

اختلف علماء الجغرافيا، والتاريخ، والجيولوجيا في المُراد من يَلَمْلَم: هل هو اسم جَبَلٍ مِن جِبَالِ تِهَامَة أم اسم وَادٍ من أودية تِهَامَة؟

- فذهب فريق منهم إلى أنَّه: جَبَلٌ مِن جِبَالِ تِهَامَة.
- وذهب فريق آخر إلى أنَّه: وَادٍ من أودية تِهَامَة.

أولاً: القائلون بأنه جَبَلٌ مِن جِبَالِ تِهَامَة.

- قال البكري في معجمه: «يَلَمْلَم: جبل علىٰ ليلتين من مكة،[1] من جبال تِهَامَة».[2]
- وقال الحموي في معجمه: «أَلَمْلَم، ويقال: يَلَمْلَم: جبل من جبال تِهَامَة على ليلتين

١. تقدر الليلة أو المرحلة بـ (٥٠ كم) وقد تنقص قليلاً؛ نظرًا لاختلاف سرعة وسائل النقل وسهولة أو وصعوبة الطرق التي كانت تُسلك قديمًا.

٢. معجم ما استعجم، للبكري، ٢: ١٣٩٨.

من مكة».[١]

- وقال العجيلي في حاشيته: «يَلَمْلَمُ، وَيُقَالُ لَهُ: أَلَمْلَمُ جَبَلٌ مِنْ جِبَالِ تِهَامَة عَلَى لَيْلَتَيْنِ مِنْ مَكَّةَ».[٢]

- وجاء في المعجم الكبير: «أَلَمْلَم: جبل من جبال تِهَامَة علىٰ ليلتين من مكّة».[٣]

- وفي محيط المحيط: «ويَلَمْلَم أو أَلَمْلَم أو يَرَمْرَم: جبل علىٰ مرحلتين من مكة».[٤]

- وفي المصباح المنير: «وأَلَمْلَم: جبل في تِهَامَة، علىٰ ليلتين من مكّة».[٥]

- وقال الحميري: «يَلَمْلَم: جبل أو قرية على ليلتين من مكة».[٦]

ثانياً: القائلون بأنّه وَادٍ من أودية تِهَامَة.

- قال التقي الفاسي (ت ٨٣٢هـ): «يَلَمْلَم: وادٍ في جنوب مكة على ليلتين منها، وهو ميقات أهل اليَمَن».[٧]

- وقال المرزوقي: «يَلَمْلَم: جبل من الطائف على ليلتين أو ثلاث، وقيل: هو وادٍ هناك».[٨]

---

١. معجم البلدان، للحموي، ٥: ٤١١.

٢. حاشية الجمل على شرح المنهج، للعجيلي الأزهري المعروف بالجمل، ٢: ٤٠٢.

٣. المعجم الكبير، مادة أَلَمْلَم.

٤ محيط المحيط، مادة لملم.

٥. المصباح المنير، مادة ألم.

٦. الروض المعطار في خبر الأقطار، ١: ٦١٩.

٧. شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي، ١: ٣٨. ويعد هذا الكتاب من المصادر الأصلية بعد كتاب الأزرقي صاحب أخبار مكة، والفاكهي صاحب كتاب تاريخ مكة.

٨. معجم البلدان، للحموي، ٥: ٤١١.

- وقال الإصفهاني: «يَلَملمُ: وادٍ ومنه يحرم أهل اليَمَن».[1]
- وقال ابن السكيت: «يَلَملمُ وأَلَمْلَم: وادٍ من أودية اليَمَن».[2]
- وقال الإسكندري: «يَلَمْلَم: وادٍ لا يزال معروفاً وقد يسمّى (السّعديّة)، ومنه ميقات إحرام أهل اليَمَن».[3]
- وقال حميد الله: يلملم: وقد يقال: «أَلَمْلَم» وادٍ فحل، يمرّ جنوب مكة على مسافة ١٠٠ كم، فيه ميقات أهل اليَمَن ممن يأتي على الطريق التهامي.[4]
- قال البلادي في معجمه: يَلَمْلَم: وادٍ فحل متعدد الروافد من أودية الحجاز التِّهاميّة.[5]
- وذكر مؤرخ اليَمَن الخزرجي في أحد مصنفاته أنّ أهل اليَمَن قد أحرموا من وادي يَلَمْلَم وهو يصف رحلة أحد سلاطين الدولة الرسولية للحجّ، فيقول: «... فكان وصوله وادي يَلَملمُ يوم الاثنين سلخ ذي القعدة. فأَمر السلطان بنصب الأحواض فنصبت وملئت ماء وطرح فيها من السويق والسكر ما شاء الله تعالى وسبلها للناس فشرب منها الصغير والكبير وتصدق على الناس بصدقة عظيمة

١. بلاد العرب، محمد حسن الأصفهاني، ١: ٢٢.

٢. إصلاح المنطق، لابن السكيت، ١: ١٢٢.

٣. الأمكنة والمياه والجبال والآثار ونحوها المذكورة في الأخبار والآثار، نصر بن عبدالرحمن الإسكندري، ٢: ٢٢٧.

٤. المعالم الأثيرة في السنة و السيرة، محمد حميد الله، ١: ٣٠١.

٥. معجم معالم الحجاز، ١٠: ٢٨ـ٢٩. (بتصرف قليل). ويتحسر المؤرخ البلادي لما حلّ بميقات يَلَمْلَم الأصلي، بقوله: «وإنَّهُ ليَحزُّ في النَّفْس أن يُنسى دربُ اليمن القديم الذي كان مهلاً وملبّىً لوفود بيت الله منذ أن أُذِّنَ أنّ البيت محجوج، وهو يَمُرّ بقرى أصبح أهلها يرحلون لينزلوا على الطَّرِيق الجديد في مواضع ليس فيها ما يصلح للنُزل إلّا هذا الأسفلت الذي أصبح في الصحراء يشبه ماء الحياة. وسيندثر مَحْرَم يَلَمْلَم قريباً فيصبح كالجُحْفَة أثراً بعد عين، وستموت محطّات سعيا والخضراء وغيرها».

مـن الدراهـم والثياب للإحـرام».[1]

- وتقـول الباحثـة الجيولوجيـة: آمنة علاجـي: «يَلمْلَم ويقـال ألَـمْلَم ـ وأهل الديار لا يقولـون إلّا يَلمْلَـم ـ وادٍ فحـل مـن أوديـة مكـة المكرمـة متعـدد الروافـد كثـير المياه».[2]
- ويقـول الباحثـان الجيولوجيـان: الصبيـاني والبيومـي: «يَلمْلَـم: وادٍّ على بُعـد ٧٠ كم جنـوب غـرب مكـة المكرمة».[3]

ولأنّ لفـظ يَلَملـمُ يطلـق عـلى أكثـر مـن مـكان، فيطلـق تـارةً ويراد بـه الجبـل، وتارةً أخـرى يـراد بـه الـوادي، وثالثة يراد بـه القرية التي تقـع في الـوادي، وما دام الحـال هكذا فـإنّ مُـراد المتكلـم من لفـظ يَلَملـمُ لا يُعـرف إلّا بالقرينة التي تسـبقه:

- فإذا قلنا: قرية يَلمْلَم، فنعني: القرية التي تقع في وادي يَلَملمُ.
- وإذا ما قلنا: وادي يَلمْلَم، فنعني: الوادي العظيم الواقع في تِهَامَة.
- أمّا إذا قلنا جبل يَلمْلَم، فحتماً نعني: الجبل الواقع في وسط قرية يَلمْلَم.

وسـيأتي الحديـث عن المراد من لفـظ يَلمْلَـم في الروايات الشريفة بشـكلٍ خاصّ وعن وادي يَلمْلَم بشـكلٍ عامّ.

---

١. العقـود اللؤلؤيـه في تاريـخ الدولـه الرّسـوليه، للحسـن بـن عـلي الخزرجـي، تحقيـق: محمـد بن علي الأكـوع، ٢: ٦٦.

٢. ينظـر: دراسـة الماجسـتير المقدمـة مـن الطالبة آمنـة بنت أحمـد علاجي إلى قسـم الجغرافيا بجامعـة أُمّ القـرى، بعنـوان: تطبيـق نظـم المعلومـات الجغرافية في بنـاء قاعدة بيانـات للخصائـص المورفومترية ومدلولاتهـا الهيدرولوجيـة في حـوض وادي يَلمْلَم.

٣. ينظـر: دراسـة باللغـة الإنجليزيـة للباحثـين: عـلي صبيـاني، وطـارق بيومي مـن كلية علـوم الأرض بجامعـة الملك عبـد العزيـز، بعنوان:
(Physiographical and Hydrological Analysis of Yalamlam Basin).

يَلَمْلَم حديثياً:

لا يخفى أنَّ الروايات الشريفة حول المواقيت ـ بشكلٍ عامّ ـ وفيرة جداً، وما ورد منها بشأن ميقات أهل اليَمَن ـ بشكلٍ خاصّ ـ ليس بالقليل، وهي على طائفتين:

- طائفة أشارت إلى أنَّ ميقات أهل اليَمَن هو: (يَلَمْلَم)، ومن أمثلتها:
- صحيح مُعَاوِيَة بْنِ عَمَّار: عَنْ أَبِي عَبْدِالله عليه السلام، قَالَ: «مِنْ تَمَامِ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ أَنْ تُحْرِمَ مِنَ المَواقيت التِي وَقَّتَهَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله، لَا تُجَاوِزَهَا إِلّا وَأَنْتَ مُحْرِمٌ؛ فَإِنَّهُ وَقَّتَ لِأَهْلِ العِرَاقِ ـ وَلَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ عِرَاقٌ ـ بَطْنَ العَقِيق مِنْ قِبَلِ أَهْلِ العِرَاقِ، وَوَقَّتَ لِأَهْلِ اليَمَن يَلَمْلَمَ، وَوَقَّتَ لِأَهْلِ الطَّائِفِ قَرْن المَنَازِل، وَوَقَّتَ لِأَهْلِ المَغْرِبِ الجُحْفَة وَهِيَ مَهْيَعَةُ، وَوَقَّتَ لِأَهْلِ المَدِينَةِ ذَا الحُلَيفة؛ وَمَنْ كَانَ مَنْزِلُهُ خَلْفَ هذِهِ المَواقيت مِمَّا يَلِي مكَّة فَوَقْتُهُ مَنْزِلُهُ».[1]
- وطائفة أشارت إلى أنَّ ميقات أهل اليَمَن هو: (قرن المنازل)، ومن أمثلتها: صحيح علي بن رئاب، قال: سألت أبا عبد الله (الصادق) عليه السلام عن الأوقات التي وقّتها رسول الله صلى الله عليه وآله للناس، فقال: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وقّت لأهل المدينة ذا الحُلَيْفَة وهي الشجرة، ووقّت لأهل الشام الجُحْفَة، ووقّت لأهل اليَمَن قرن المنازل، ولأهل نجد العقيق».[2]

ولا تنافي أو تعارض بين نصوص الطائفتين إذا ما علمنا بوجود طريقين للقادمين من اليَمَن إلى مكة: (طريق ساحلي وآخر داخلي. وسيأتي الحديث عن هذين الطريقين لاحقاً.

وكيف ما كان فقد اتَّفَقَ الفقهاء على أَنَّ (يَلَمْلَمَ) و(قَرن المَنازل) مِن المَوَاقِيت الـمَكَانِيَّةِ التِي لَا يَجُوْزُ لِـمُرِيدِ النُّسُكِ أَن يَتَجَاوَزَهَا إِلَّا مُحْرِمًا، وَأَنَّهُمَا مِيقَاتٌ لِأَهْلِهِما

١. الوسائل، ١١: ، الباب الأول من أبواب المواقيت، ح ٢، :٣٠٧.
٢. الوسائل، ١١: ، الباب الأول من أبواب المواقيت، ح ٦ و٧.

وَلِمَن مَرَّ بِهِما أَوْ حَاذَاهُما مِن غَيْرِهِم.

وعليه:

- تكون الأحاديث التي ذكر فيها (يَلَمْلَم) أُريد بها من يسلك الطريق الساحلي المار بميقات يَلَمْلَمَ.
- وأمّا الأحاديث التي ذكر فيها (قرن المنازل)، فأُريد بها من يسلك أحد الطرق الداخلية الثلاثة المارة بميقات قرن المنازل.

وبهذا تكون الأحاديث بمجموعتيها قد غطّت جميع الطرق من اليَمَن إلىٰ مكّة المكرّمة.

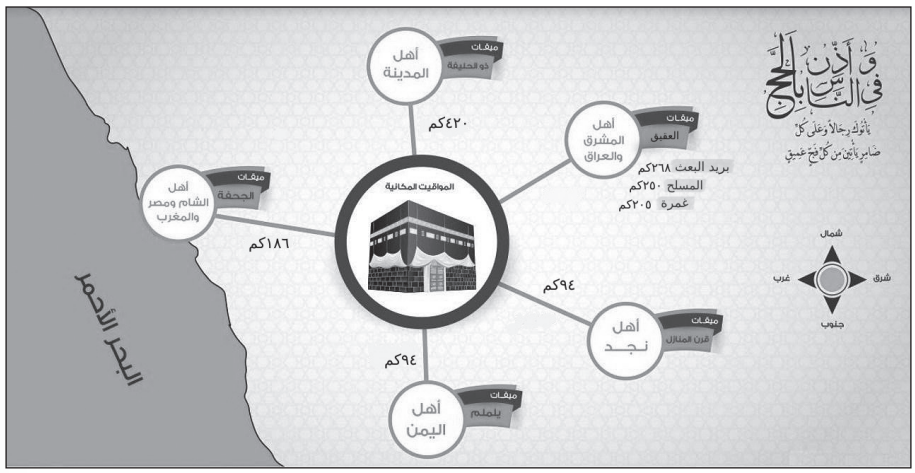

المَوَاقِيت الخَمْسَة التِي لاَ يَجُوز تَجَاوُزُهَا لِقَاصِدِ الحَجِ وَالعُمْرَةِ إِلاَّ مُحْرِماً

يَلَمْلَم فقهيًّا:

في البدء لابُدّ من الإشارة إلى أنّه لا خلاف بين فقهائنا حول شرعية الإحرام من يَلَمْلَم، والخلاف الوحيد الذي حصل بينهم هو ذات الخلاف الذي حصل بين علماء الجغرافيا في كون يَلَملمُ اسم جبل أم اسم واد.

وإذا ما تتبعنا أقوال الفقهاء منذ عصر الشيخ المفيد قدس سره وحتى عصرنا هذا، فيمكننا تقسيم اقوالهم إلى أربع طوائف:

- طائفة لم تحدد كون يَلمْلَم جبلاً أو وادياً، ومن أمثلتها:

* قول الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ) في المقنعة: «ووقّت لأهل اليَمَن يَلَمْلَم».[١]

* وقول الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) في الجمل والعقود: «ولأهل اليَمَن يَلَمْلَم».[٢]

* وقول ابن زهرة (ت٥٨٥هـ) في الغنية: «ولمَن حجّ على طريق اليَمَن يَلَمْلَم».[٣]

* وقول المحقّق الحلّي (ت٦٧٦هـ) في نكت النهاية: «ولأهل اليَمَن يَلَمْلَم».[٤]

* وقول العلّامة الحلّي (ت٧٢٦هـ) في الإرشاد: «ولأهل اليَمَن يَلَمْلَم».[٥]

* وقول الشهيد الأول (ت٧٨٦هـ) في شرح الإرشاد: «ولأهل اليَمَن يَلَمْلَم».[٦]

* وقول الشهيد الثاني (ت٩٦٥هـ) في: «ويَلَمْلَمُ لأهل اليَمَن».[٧]

* وقول المقدس الأردبيليّ (ت٩٩٣هـ) في مجمع الفائدة والبرهان: «ولأهل اليَمَن يَلَمْلَم».[٨]

---

١. المقنعة، للشيخ المفيد، : ٣٩٥.

٢. الجمل والعقود في العبادات، للشيخ الطوسي، ١: ١٣٢. وانظر: المبسوط في فقه الإمامية، ١: ٣١٣.

٣. غنية النزوع إلى علمي الأصول والفروع، لابن زهرة الحلبي، تحقيق: الشيخ إبراهيم البهادري، ١: ١١٥.

٤. نكت النهاية، للمحقّق الحلّي، ١: ٤٦٧.

٥. إرشاد الأذهان، للعلّامة الحلّي، تحقيق: الشيخ فارس الحسون، ١: ٣١٥. وانظر: تذكرة الفقهاء، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ٧: ١٩٠. وانظر: مختلف الشيعة في أحكام الشريعة، ٤: ٤٤.

٦. غاية المراد في شرح نكت الإرشاد، للشهيد الأوّل، تحقيق: الشيخ رضا المختاري، ١: ٣٨٩.

٧. رسائل الشهيد الثاني، تحقيق: الشيخ رضا المختاري، ١: ٣٣٩.

٨. مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان، للمقدس الأردبيلي، تحقيق: الشيخ مجتبى العراقي، ٦: ١٧٩.

* وقول الحرّ العامليّ (ت١١٠٤هـ) في هداية الأُمّة: «وَأَهْلُ اليَمَن مِن يَلَمْلَم».[١]

- وطائفة قالت بأنّ يَلَمْلَم اسم جبل أو واد، ومن أمثلتها:

* قول أحد شُراح الإرشاد: «وميقات اليَمَن يَلَمْلَم، وهو وادٍ يُعرف الآن بالسَّعْدِيَّة، وقيل: إنّه اسم الجبل الذي هناك، فالاحتياط إيقاع نية الإحرام مرة بالوادي وأخرى بالجبل».[٢]

* قول صاحب الجواهر (ت١٢٦٦هـ): «ووقّت لأهل اليَمَن جبل أو وادٍ، يقال له: يَلَمْلَم، وألَمْلَم، ويَرَمْرَم وهو على مرحلتين من مكّة».[٣]

* وقول الآملي (ت١٣٩١هـ) في مصباح الهدى: «الرابع يَلَمْلَم: وهو لأهل اليَمَن وهو جبل من جبال تهامة أو واد من الأودية وقد يقال أَلَمْلَم أو يَرَمْرَم».[٤]

* وقول السيد صادق الروحاني (ت١٤٤٤هـ) في مناسك الحجّ: «يَلَمْلَم: اسم وادي أو جبل بين مكة واليَمَن».[٥]

- وطائفة قالت بأنّ يَلَمْلَم اسم جبل، ومن أمثلتها:

* ابن إدريس في السرائر: «ووقّت لأهل اليَمَن جبلاً يقال له: يَلَمْلَم».[٦]

* العلّامة الحلّي في القواعد: «ولليمن جبلاً يقال له: يَلَمْلَم».[٧]

* السيد الخوئي في المناسك: «الرابع: يَلَمْلَم، وهو مِيقَات من أراد الحجّ عن طريق

١. هداية الأُمّة إلى أحكام الأئمة، للحرّ العاملي، ٥: ٧٣.
٢. نقلاً عن كشف اللثام، للفاضل الهندي، ٥: ٢١٥.
٣. الجواهر، ١٨: ١١٣.
٤. مصباح الهدى في شرح العروة الوثقى، للشيخ محمد تقي الآملي، ١٢: ٣٩٩.
٥. مناسك الحجّ، للسيد صادق الروحاني، ١: ٩٥.
٦. السرائر، ١: ٥٢٩.
٧. القواعد، ١: ٤١٦.

اليَمَن، ويَلَمْلَم اسم لجبل».[1]

* السيد السبزواري في الذخيرة: «يَلَمْلَم: ميقات اليَمَن جبل على مرحلتين من مكة».[2]

* الشهيد الصدر في الموجز: «الرابع: يَلَمْلَم، وهو جبل من جبال تِهَامَة، ويقال إنّ بُعده عن مكّة يقدر بأربعة وتسعين كيلومترًا».[3]

* السيد الخامنئي في المناسك: «يَلَمْلَم، وهو ميقات أهل اليَمَن وكُلّ من يَمُرّ عليه، وهو اسم جبل، ويجزي الإحرام من جميع مواضعه».[4]

- وطائفة قالت بأنّ يَلَمْلَم اسم واد، ومن أمثلتها:

* قال فخر المحقّقين (ت٧٧١هـ) في حاشية الإرشاد: «يَلَمْلَم: وادٍ يقال له يَلَمْلَم، وألَمْلَم وهو من اللمم وهو الجمع».[5]

* وقال الشيخ الخطيّ (ت قبل ١٢٣١هـ)،[6]: «الرابع يَلَمْلَم: وهو ميقات أهل اليَمَن ومن والاهم، ويقال له: يَرَمْرَم، وألَمْلَم والمشهور أنّه اسم جبل وإن كان كلام

١. مناسك الحجّ، للسيد الخوئي، ٣: ٧٣.

٢. ذخيرة المعاد في شرح الإرشاد، للسيد السبزواري، ١: ٥٧٦.

٣. مشكاة النهج إلى موجز أحكام الحجّ، للشهيد الصدر، تحقيق: جواد الفضلي، : ١٢٣، دار الولاء للنشر، بيروت.

٤. مناسك الحجّ، للسيد الخامنئي : ٢٧، مسألة رقم ١٠٨.

٥. حاشية إرشاد الأذهان، محمد بن الحسن بن المُطهر الحلّي الشهير بفخر المُحقّقين، (مخطوط) من مخطوطات مكتبة الإمام الحكيم العامة بالنجف الأشرف برقم ٤٦٧ وعدد صفحات المخطوطة ٣٧٤.

٦. الشيخ محمد بن الشيخ حسن المعروف بأبي مجلي الخطي (ت قبل ١٢٣١هـ)، من أعلام القرن الثالث عشر الهجري، وأسرته من الأسر العلمية المعروفة، وكان والده قد هاجر من القطيف إلى مكة واستقر في وادي الفرع وتوفّي ودفن في وادي القاحة وقبره معروف عند أهل الوادي.

أهـل اللُّغـة أنّه اسـم للـوادي، وهـو على مرحلتـين من مكـة والظاهـر أنّه اسـم الوادي والجبـل بعـض منـه أو أنّه اسـم للجبل ثُمّ اسـتُعمل اسـماً للوادي كبـدر فإنّه اسـم للبئر ثُـمّ أُطلـق عـلى الـوادي والمُعتمد عـلى كلام أهـل اللُّغة حيث لم يـرد في التعيـين نصّ من الشارع».[1]

* ويقول الشيخ محمد السند: «يَلَمْلَم: اسم لجبل والمراد به واديه».[2]

* ويقـول الشـيخ الدكتـور أحمد الخليـل ـ من أهـل السُـنّة ـ: «يَلمْلَـم: وادي في طريق القادم مـن اليَمَـن إلى مكة».[3]

* ويقـول الشـيخ اللنكـراني في شرح تحريـر الوسـيلة: «المحكـيّ عـن شرح الإرشـاد للفخـر أنّـه واد، وهـو الظاهـر المناسـب للميقاتيـة لصعوبـة الإحـرام مـن الجبل».[4]

ملاحظتان هامتان:

ذكـر سـماحة سـيدي الوالـد في بحثـه الميـداني حـول ميقـات يَلَمْلَـمَ، ملاحظتـين: أحدهمـا تتعلـق بعبـارات الفقهاء حـول ميقات أهـل اليَمَـن، والثانية: تتعلق بالمسـافة بين ميقـات يَلَمْلَـم ومكّـة المكرمة.

الملاحظة الأُولى:

يقول سـماحة سـيدي الوالد: «أنَّ الفقهاء قَصَـروا مِيقَـات أهل اليَمَن عـلىٰ يَلَمْلَم،

---

١. توضيح المسـالك إلى أحكام المناسـك، للشـيخ محمد بن حسـن المعروف بأبي مجلي الخطي (مخطوط)، فـرغ مـن تأليفـه ٦ رمضـان ١٢٠٢ هـ. والنسـخة المنقول عنها من نسـخ: صالح بن طعـان البحراني، بتاريخ ١٢٦١هـ، : ١٩.

٢. سند السالكين، للشيخ محمد السند، ١: ١٢٥.

٣. شرح زاد المسقنع، الدكتور الشيخ أحمد الخليل، ٣: ٥٨.

٤. تفصيل الشريعة في شرح تحرير الوسيلة، للشيخ محمد الفاضل اللنكراني، ٣: ٤٤.

والأمر ليس كذلك ـ كما رأينا في الروايات الشريفة ـ؛ لأنَّ لليمن طُرقًا أخرىٰ لا تمرّ على يَلَمْلَم، وإنّما تسلك طريق الطائف حيث يكون المِيقَات قرن المنازل، والمَحرم المُحاذي له (وادي مَحرم). ولأنّ الفتاوىٰ ـ عادّة ـ يُفتىٰ بها ليعمل المُقَلِد علىٰ وفقِها، كان علىٰ المُفتي تَعَرُف طُرق اليَمَن أولًا والمنازل التي تمرّ بها إلىٰ مكّة، ثُمّ الإفتاء في ضوء هذا. فكان الذي ينبغي أن يُعبّر به للإفتاء أن يقال: يَلَمْلَم: مِيقَات من يسلك طريق اليَمَن التِهَامي أو الساحلي مارًا به ـ سواء كان من أهل اليَمَن أو تِهَامَة أو غيرهما ـ. وليس هذا الأمر من الإطلاق في التعبير قاصرًا علىٰ فقهاء الإمامية، فقد رأيت فيما لدي من كُتب الفقه السُّني ما يشارك كتبنا الفقهية في هذا، ومنه: ما جاء في (المُحلى) لابن حزم ٧: ٧٠ ولمن جاء علىٰ طريق اليَمَن منها أو من جميع البلاد: يَلَمْلَم، وهو جنوب مكّة، ومنه إلىٰ مكّة ثلاثون ميلاً. وفي (الرَّوض المُربع)، للبهوتي: ومِيقَات أهل اليَمَن: يَلَمْلَم، بينه وبين مكّة ليلتان. وفي كتاب الفقه على المذاهب الأربعة: والمِيقَات لأهل اليَمَن والهند: يَلَمْلَم ـ بفتح اللامين وسكون الميم بينهما ـ، وهو جبل من جبال تِهَامَة علىٰ مرحلتين من مكة، ١: ٦٤٠.

وفي (فقه السنة) لسيد سابق: ومِيقَات أهل اليَمَن: يَلَمْلَم، جبل يقع جنوب مكّة، بينه وبينها ٥٤ كم.

وفي (التحقيق والإيضاح) لابن باز: الرابع: يَلَمْلَم، وهو مِيقَات أهل اليَمَن.

نعم، يستثنىٰ من هذه الملاحظة الإمام الشافعي فقد تنبه لذلك، وكانت عباراته وافية بالمطلوب، وشاملة لطرق اليَمَن جميعها، وقد يرجع هذا إلىٰ أنه ابن مكّة، فهو أعرف من سواه بالطرق المؤدية إليها.

قال في (الأُم):.. وكذلك قوله في أهل نجد واليَمَن لأنَّ كُلّ واحد منهم خارج من بلده وكذلك أول ميقات يمرون به، وفيه معنى آخر أنّ أهل نجد واليَمَن يمرون بقرن، فلما كانت طريقهم لم يكلفوا أن يأتوا يَلَمْلَم وإنما ميقات يَلَمْلَم لأهل غور

اليَمَـن تهمها ممـن هـي طريقهم.[1]

ويقـول زين الديـن العراقي: المُـرَادُ بِكَـوْنِ يَلَمْلَـم مِيقَاتَ أَهْـلِ اليَمَن، بَعْـضُ اليَمَن: وَهُـوَ تِهَامَـةُ. وأَمَّـا نَجْدٌ فَـإِنَّ مِيقَاتَـهُ قَـرْنٌ ـ يعني قرن المنـازل ـ وَذَلِـكَ لِأَنَّ اليَمَن يَشْـمَلُ نَجْـدًا وَتِهَامَـةَ فَأَطْلَـقَ اليَمَن وَأُرِيـدَ بَعْضُهُ وَهُـوَ تِهَامَةُ مِنْـهُ خَاصَّـةً. وَقَوْلُهُ فِيمَا تَقَـدَّمَ نَجْدٌ تَنَـاوَلَ نَجْـدِ الحِجَـازِ وَنَجْدُ اليَمَـن فَكِلَاهُمَـا مِيقَاتُ أَهْلِـهِ قَرْنٌ.[2]

ويقـول البُجَيْرَمِيّ المصـري الشـافعي (ت ١٢٢١هـ): وَمِيقَاتُ الْـمُتَوَجِّهِ مِـنْ تِهَامَةِ اليَمَـن يَلَمْلَـمُ، وَهُـوَ مَوْضِعٌ عَـلَى مَرْحَلَتَيْنِ مِـنْ مَكَّةَ. وَمِيقَاتُ الْـمُتَوَجِّهِ مِـنْ نَجْدِ اليَمَن وَنَجْـدِ الْحِجَـازِ قَـرْنٌ، وَهُـوَ جَبَلٌ عَـلَى مَرْحَلَتَيْنِ مِـنْ مَكَّةَ.[3]

الملاحظة الثانية:

أمّـا بخصـوص الملاحظـة الثانية، فيقول سـماحة سـيدي الوالـد: إنّ تقدير المسـافة بـين يَلَمْلَـم ومكـة بـــ (٥٤ كـم) أو (٩٤ كـم) لا تصـدق على الطريـق السـالك بينهما في عصرنـا هـذا، وإنّـما المُـراد بهـا الطريـق القديـم الـذي يَمُـرّ بيَلَمْلَم مبـاشرة قبـل اندثاره. ولأنَّ المناسـك والكتـب الفقهيـة التـي ذكـرت فيها هـذه التقديـرات لفقهـاء معاصرين، كان ينبغـي لهـم تقدير المسـافة وفـق واقعها الحـاضر، فالطريـق المقصود في أقـوال الفقهاء هـو (الطَّرِيـق السـاحلي أو التِّهَامِـيّ)، ومنازله ـ كما في مناسـك الحربي ـ، هـي: صنعاء ⇦ جـازان ⇦ الليـث ⇦ يَلَمْلَـم ⇦ مكّة.[4]

---

١. الأُمّ، للشافعي، ١: ١٥٢.

٢. طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين العراقي، ٥: ١١.

٣. تحفـة الحبيـب عـلى شرح الخطيـب = حاشـية البُجَيْرَمِـيّ عـلى الخطيـب، سـليمان بـن محمد بـن عمر البُجَيْرَمِـيّ المـصري الشـافعي، ٢: ٤٤٣.

٤. مناسك الحربي، :٦٣٤.

يَلمْلَم حالياً:

إذا ما توخينا معرفة واقع يَلمْلَم في عصرنا الحالي بدقة فلابُدّ لنا من الحديث عن وادي يَلمْلَم ـ بشكلٍ عامّ ـ وعن الأمكنة التي أحرم منها الحجّاج القادمون إلى مكة عبر الطريق الساحلي (التِهَامي) منذ عهد النّبيّ ﷺ وحتّى يوم الناس هذا.

وكيف ما كان فقد تغيرت أمكنة الإحرام ـ عبر التاريخ ـ ثلاث مرات، ويمكن ترتيبها على النحو التالي:

- الميقات الأقدم، ويقع في: (قرية يَلمْلَم).
- والميقات القديم، ويقع في: (قرية السَّعْدِيَّة).
- والميقات الحالي، ويقع في: (قرية سَعيا).

وجميع هذه القُرى (الأمكنة أو المراكز) تقع داخل حدود وادي يَلمْلَم، وتتبع محافظة الليث التابعة لمنطقة مكة المكرمة إدارياً، وتأتي أهمية محافظة الليث من إشرافها على هذا الميقات بأمكنته الثلاثة. انظر شكل رقم (٢)، ورقم (٣)، ورقم (٤).

ولكي تكون دراستنا لهذا الميقات متسلسلة، ارتأيت أن نبدأ الحديث عن وادي يَلمْلَم، ومن ثمّ عن أمكنة الميقات الثلاثة مبتدئين بالأقدم، فالقديم، فالحالي.

وادي يَلَمْلَمُ:

وادي يَلمْلَم: وادٍ عظيم من أودية تِهَامَة يبلغ طوله ٩٤ كم تقريباً، يسيل من أعلى جبال الشفا على ارتفاع ٢٥٠٠ متر فوق سطح البحر،[1] ثم ينساب بين الجبال،[2] ماراً بقرى وهجر عديدة، ومنها قرى: يَلمْلَم والسَّعْدِيَّة وسعيا إلى أن يصب في خبت

١. تقع جبال الشفا على قرابة ٣٠ كم جنوب غرب الطائف.

٢. جبال موحشة، وخالية من العمران تسمّى (عقبة الحرف)، وتفصل بين الشفا وقرية يَلمْلَم ويبلغ طولها ٢٠كم تقريباً.

الغصـن وقـد يصب في البحـر الأحمـر إذا كان سـيله جارفاً.

والمسـافة بـين أمكنة الـوادي المأهولة بالسـكان والتي يمكـن الوصول إليهـا ـ يَلَمْلَم، والسَّـعْدِيَّة، وسـعيا ـ ٦٠كم تقريباً.

أبرز قرى وادي يَلَمْلَم:

تُعـدُّ قـرى: يَلَمْلَـمُ، والسَّـعْدِيَّة، وسَـعيا مـن أبـرز قـرى وادي يَلَمْلَـمُ. انظـر شـكل رقـم (٣).

وتنتشر في الوادي أشجار: السَلم، والسمر، وضهيَان، والعُشـر، والمرخ.[١]

سكان وادي يَلَمْلَم:

لا يخفـى أنّ للجانـب القبـلي في الجزيرة العربيـة دوراً هامـاً في اسـتقرار القبائل في هذه البقعـة مـن الأرض أو تلـك، وسـكان تِهَامَـة بشـكلٍ عـامّ وسـكان وادي يَلَمْلَـم بشـكلٍ خـاصّ لم يشـذوا عـن هـذه القاعـدة، فالتكتـل القبـلي واضـح في الأماكـن المأهولـة مـن الوادي.

وكيف ما كان فالقبائل التي سكنتْ ولا تزال تسكن وادي يَلَمْلَم، ما يلي:

- قبيلة بني سفيان، وتسكن في قرية الشفا الواقعة في طرف الوادي الشمالي.
- قبيلة فَهْم، وتسكن في قرية يَلَمْلَم الواقعة جنوب قرية الشفا وشمال قرية السَّعْدِيَّة.
- قبيلة الجحادلة، وتسكن في قرية السَّعْدِيَّة الواقعة طرف الوادي الجنوبي.
- أشراف الشنابرة، ويسكنون في قرية سَعيا الواقعة في أقصى طرف الوادي الجنوبي.

---

١. للحصـول عـلى صور لهذه الأشـجار ومعلومات مُفصلة عنهـا، ينظر كتاب: الغطـاء النباتي للمملكة العربيـة السـعودية، مـن إصـدارات: المركـز الوطنـي لبحـوث الزراعـة والثـروة الحيوانيـة، تأليـف: الدكتـور شـوكت علي شـودري، والأسـتاذ عبـد العزيز عبـاس الجويد، الطبعـة الثانيـة، ٢٠١٣م.

ويعمل أهل الوادي في تربية المواشي، والزراعة، وعمل الفحم إلّا أنّ الكثير منهم اتجهوا للعمل في محافظات: مكة المكرمة، والطائف، وجدة، والليث، بسبب قلّة فرص العمل.

والجدير بالذكر ـ هنا ـ أنّ الشاعر الجاهلي ثابت بن جابر المعروف بـ (تأبط شراً) ينتمي إلى قبيلة فهم.

آبار وادي يَلَمْلَم:

يوجد في وادي يَلَمْلَم آبار كثيرة، ولعلّ أشهرها بئر (حميمة) وهي مفيدة لعلاج الحساسية، وبئر (غمرة) يقال إنّها من أقدم الآبار بالمنطقة وماؤها صالح للشرب وهي البئر التي كان يستخدمها حجاج بيت الله الحرام، ولا يُستبعد أن تكون إحدى الآبار التي حفرها الإمام علي عليه السلام؛ لأنّه عليه السلام كان قد عقد نية الحجّ في يَلَمْلَم.[1] ولا يُستبعد أن تكون هي البئر التي ذكرها المؤرخ الخزرجي وهو يصف رحلة أحد سلاطين الدولة الرسولية: «ثم ارتحل السلطان فأمسى على بئر علي عليه السلام أول ليلة من ذي الحجة فاصبح يومه هنالك ثم سار فكان وصوله مكة ليلة الأربعاء الثاني من ذي الحجة فدخل مكة عشاءً».[2]

جبال وادي يَلَمْلَم:

يحيط بوادي يَلَمْلَم سلسلة من الجبال ومن جهتيه، ولعلّ أشهرها جبل يَلَمْلَم ويسمّى جبل الحرقفة أيضاً، ومن جبال وادي يَلَمْلَم، ما يلي: جبال الحَمرِيّة،[3] وجبال

١. موسوعة التاريخ الإسلامي، اليوسفي الغروي، ٣: ٥٩٥.

٢. العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرّسولية، الحسن بن علي الخزرجي، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، ٢: ٦٦.

٣. جبال الحَمْرِيَّة: من اطول الجبال الشامخة في اعالي وادي يَلَمْلَم تقع بين الرنيفة بفرع وادي الحشا ودقم العويد بفرع وادي نيات وهما اعلى فروع وادي يَلَمْلَم.

هبهب، وجبال طلان، وجبال الصعب، وجبال الأساير، وجبل وقر، وجبل العارض، وغيرها.

أصول وادي يَلمْلَم:

تسيلُ أصول وادي يَلمْلَم من أعلى جبال تِهَامَة (جبال السروات) على ارتفاع ٢٥٠٠ متر فوق سطح البحر ومن منطقة الشفا وبلاد هُذيل بالتحديد، وهي في الأعلى على شكل رقم سبعة، ولهذا له أصلان:

- أحدهما ينحدر من منطقة الشفا بالطائف على بُعد ٦٠ كم من مكة.
- والثاني يقع شمالا عن منطقة الشفا بحدود ١٠ كم في بلاد هُذيل، أي على بُعد ٥٠ كم من مكة.

ثم يجتمع هذان الأصلان (الواديان) في وادي واحد فينهمر بين جبال مُقْفِرَة موحشة (عقبة الحرف) إلى أن يصل قرية يَلمْلَم ثُمّ يتجه إلى قرية السَّعْدِيَّة ثُمّ قرية سعيا إلى أن يصب في الرمال الساحلية (خَبْت الغُصْن)، ولأنّ المنطقة رملية فمن النادر أن يصل البحر الأحمر. انظر شكل رقم (٢)، ورقم (٥).

فأصل أو أعلى أو بداية هذا الوادي من (مركز الشفا، وبلاد هُذيل) في محافظة الطائف، وأسفله أو نهايته في منطقة تُسمّى (خَبْت الغُصْن) إلى أن يصب في البحر الأحمر في منطقة تُسمّى المجيرمة.[١]

وفي منتصف المسافة ـ تقريباً ـ بين أعلى الوادي وأسفله يقع (مركز أو قرية يَلمْلَم) وهي: مَحرم حجاج أهل اليَمَن في عهد رسول الله ﷺ.

١. ينظر: دليل هواة الرحلات البرية في المملكة العربية السعودية، الصادر عن هيئة المساحة الجيولوجية السعودية، ط ٢، سنة ٢٠٠٤ م.

ولهـذا يُعـد ميقـات يَلمْلَم أقـرب المواقيـت إلى مكّة بالنظر للمسـافة بين أعـلاه (مركز الشـفا، وبـلاد هُذيـل) وبين مكة.

بقـي أن أشـير ـ هنـا ـ إلى أنّ القائلـين بـأنّ المسـافة بـين ميقـات يَلمْلَـم ومكة تسـاوي مرحلتـين (١٠٠كـم) نظـروا للمسـافة بـين قريـة يَلَمْلَـم ومكـة، لا المسـافة بـين طـرف الـوادي العلـوي ومكـة البالغـة ٦٠ كـم تقريبـاً، ولا المسـافة بـين طـرف الوادي السـفلي ومكـة البالغـة ١٢٥كـم تقريبـاً. انظر الشـكل رقـم (١).

روافد وادي يَلمْلَم:

لأنّ وادي يَلمْلَـم مـن أوديـة تِهَامَـة الطويلـة فمـن الطبيعـي جـداً أن تكون لـه روافد كثـيرة وهـي مـا تجعل مـن سـيله جارفـاً، ويتكـون وادي يلملم من ثلاثـة أودية رئيسـية:

وادي حُثُن: ويُسـمّى في أعلاه وادي الحَوِيَّة، وفي وسـطه وادي المُرَّة، وفي أسـفله وادي الصَّـوْح،[1] ووادي وَدْيان، ووادي الأَزْحَاف.

ويرفـد وادي يَلمْلَم من جهة اليسـار ـ على سـبيل المثـال ـ: وادي الحشـا، ووادي نَيان، و وادي الرّضعـة، و وادي الرنيفـة، و وادي المضيـق، و وادي ضحـا، و وادي الفُرعـة، و وادي نجُـل، وغيرها.

ويرفـده مـن جهـة اليمين ـ على سـبيل المثال ـ: وادي نيـات، و وادي هـروب، و وادي ذي الـبراك، وغيرها.

١. وادي الصـوح: وادٍ ضيـق، يصـل بـين وادي حُثُن الواقع في ديـار هُذيل شـمالاً ووادي يَلمْلَم جنوباً، ولـه مخـارج تصـب غرب قريـة يَلمْلَـم الأثريـة قريباً مـن معبر هدان الـذي كان الحـاج يجتـازه قديماً، وهـو عـلى بُعـد ١٠٠ كيلـو جنـوب مكـة، وهـو مـن الأوديـة الجميلـة جـداً وقـد زرتـه في رحلتـي التحقيقيـة الميدانية لميقـات يَلمْلَم.

أبعاد وادي يَلمْلَم:[1]

١. يبلغ طول الوادي ٩٤ كم تقريباً.

٢. ويبلغ محيط الوادي ٢٤٣ كم تقريباً.

٣. وتبلع مساحة الوادي ١٦٣٩ كم تقريباً.

أمكنة مِيقَات يَلمْلَم:

يضم وادي يَلمْلَم ثلاثة أمكنة أحرم منها الحجّاج ـ عبر التاريخ ـ، وهي:

١. **قرية يَلمْلَم**: وهي أوّل مكان أحرم منه حجّاج اليَمَن، وفيه يقع جبل يَلمْلَم، وتبلغ المسافة بين هذه القرية ومكة المكرمة ١٠٨ كم تقريباً.

٢. **قرية السَّعْدِيَّة**: وهي ثاني مكان أحرم منه حجّاج اليَمَن، وتبلغ المسافة بين هذه القرية ومكة المكرمة ١٠٠ كم تقريباً.

٣. **قرية سَعيا**: وهي المكان الذي يُحرم منه الحجّاج حالياً ويقع مسجد المِيقَات الحالي على يمين الطريق الساحلي للقادم من اليَمَن، وتبلغ المسافة بين هذه القرية ومكة المكرمة ١٢٧كم تقريباً.

ولأنّ قرى يَلمْلَم، والسَّعْدِيَّة، وسَعيا جميعها تقع داخل حدود وادي يَلمْلَم، فالإحرام من جميعها يكون نصًّا لا مُحاذاة على مبنى القائلين بأنّ الوادي بأكمله ميقات. انظر شكل رقم (١ و٢ و٥ و٦).

---

١. المعلومات عن أبعاد وادي يَلمْلَم مستقاة بشكلٍ عام من دراستين: **الدراسة الأُولى**: رسالة ماجستير للطالبة آمنة بنت أحمد علاجي، من قسم الجغرافيا بجامعة أُمّ القرى، بعنوان: (تطبيق نظم المعلومات الجغرافية في بناء قاعدة بيانات للخصائص المورفومترية ومدلولاتها الهيدرولوجية في حوض وادي يَلمْلَم). **والدراسة الثانية**: باللغة الإنجليزية للباحثين: علي صبياني، وطارق بيومي من كلية علوم الأرض بجامعة الملك عبد العزيز، بعنوان:
(Physiographical and Hydrological Analysis of Yalamlam Basin)

أولاً: قرية يَلمْلَم:

يَلمْلَـم: قَرْيَـة صغيرة تتبـع إلى محافظة الليث إداريـاً التابعة لإمارة منطقـة مكَّة المكّرمة، تقـع عـلى بعـد ٩٤ كم شـمال محافظة الليـث، و١٠٤ كم جنـوب مدينة مكـة المكرمة، وبها مجمعـان تعليميان للبنـين والبنات، ومركز صحـي، ومكتب للبريد، وجمعيـة البر الخيرية، ومحطّـة وقـود وبعـض المطاعـم والبقـالات والـورش الصغـيرة والبيـوت المتناثـرة هنـا وهناك.

ويتبـع قريـة يَلَمْلَـم باعتبارهـا مركز عـدد من القـرى، ومنها: قـرى الرنيفـة، ونيات، والحمـراء، ووديـان، والأزحـاف، وقرنـا، وأبوان.

والجديـر بالذكـر هنـا أنّ القَرْيَـة لم تَعـد في وقتنا الحالي محرمًـا إلّا لأهلها ولأبنـاء القرىٰ والأريـاف حواليهـا، بعـد أن تحـوّل مـكان الإحـرام إلى قريـة السَّـعْدِيَّة ومـن ثـمّ إلى قرية سعيا.

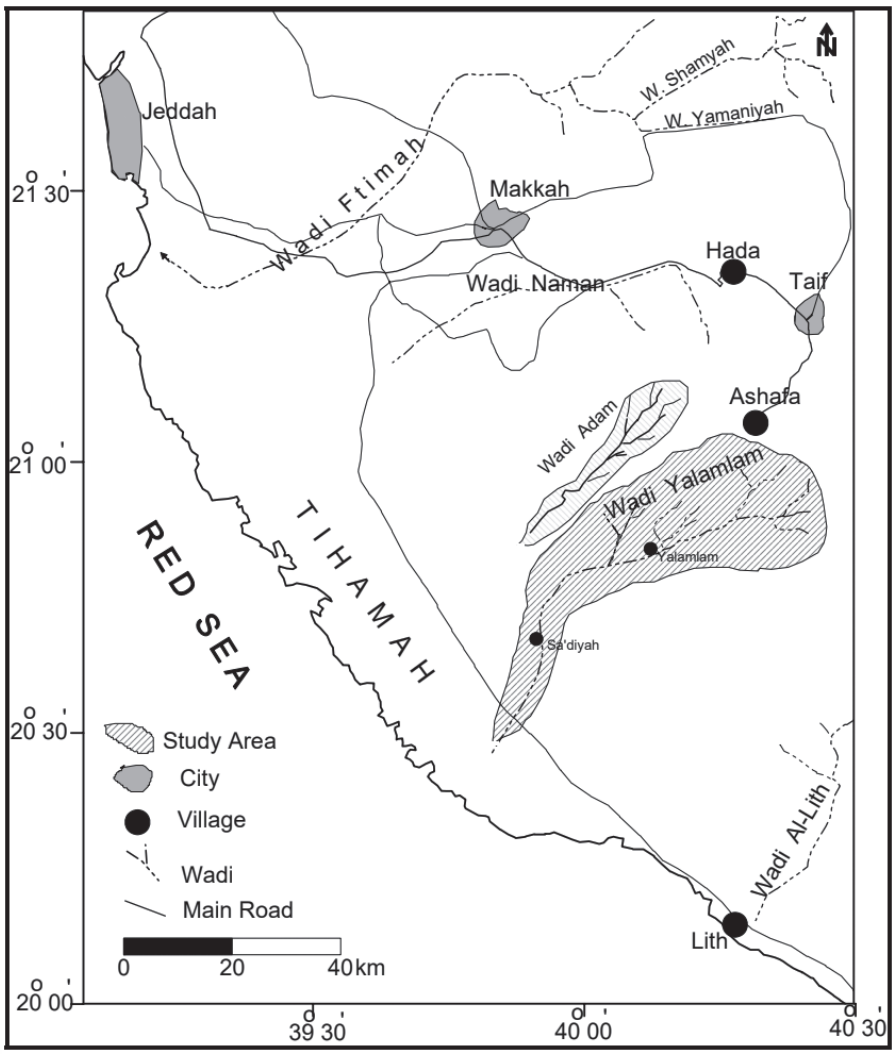

شكل رقم (١): الموقع الجغرافي لوادي يَلَمْلَم ويظهر على الخريطة الطريق الساحلي المار بأسفل الوادي، وقرى: الشفا، ويَلَمْلَم، والسَّعْدِيَّة. مصدر الخريطة: دراسة الباحث: علي صبياني.

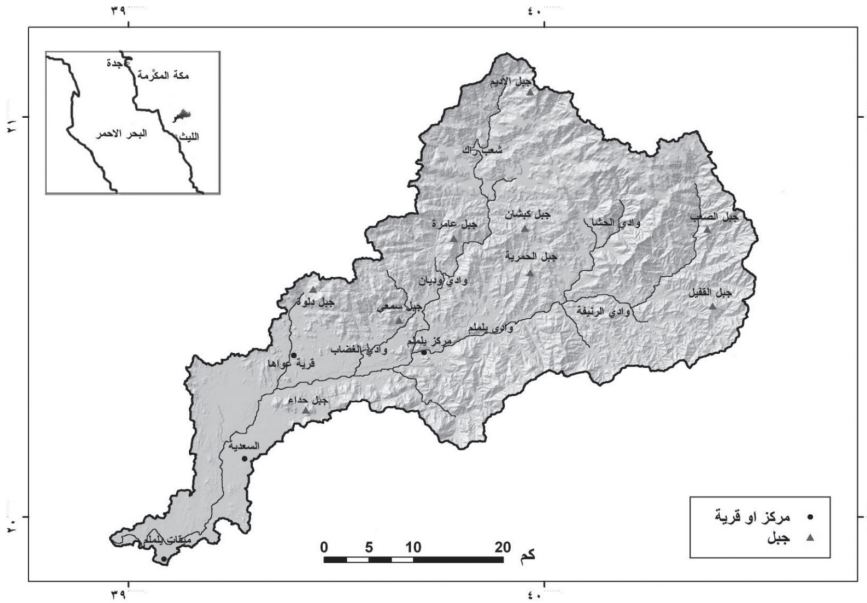

شكل رقم (٢) يظهر في الخريطة موقع الميقات الحالي (سَعيا) في أسفل وادي يَلمْلَم.
مصدر الخريطة: دراسة الباحثة آمنة.

شكل رقم (٥): يظهر فيها موقع (خَبْت الغُصْن)، والطريق الساحلي المار بالقرب من الميقات الجديد، الواقع على الطرف الجنوبي لوادي يَلمْلَم. مصدر الخريطة: (هيئة المساحة الجيولوجية السعودية).

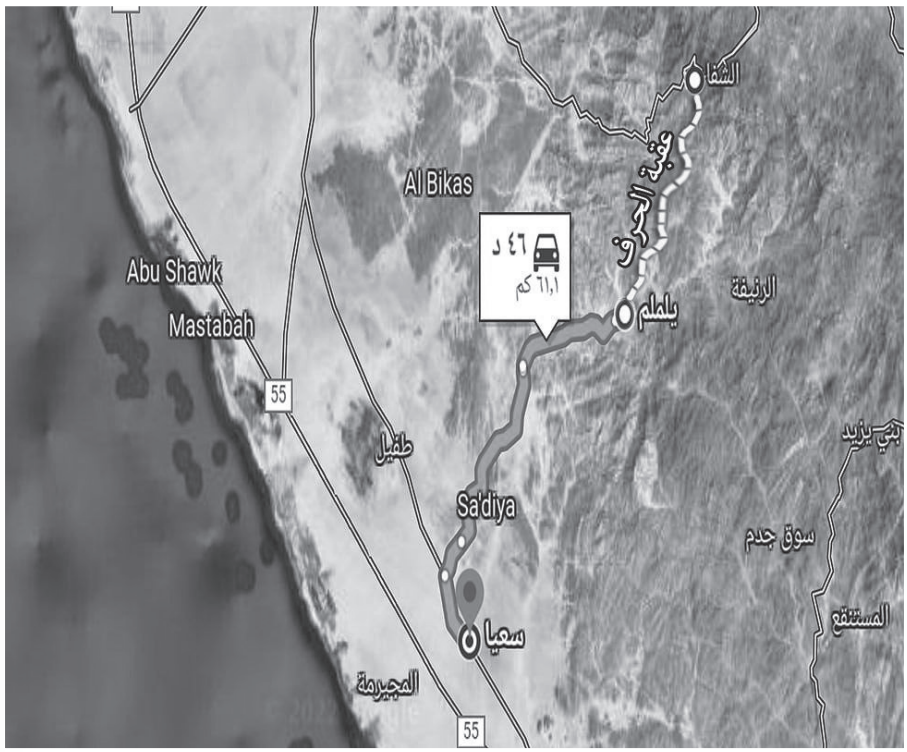

شكل رقم (٦) صورة فضائية يظهر فيها الطريق المُعبد بين قرى يَلَمْلَم، والسَّعْدِيَّة، وسَعيا. ويظهر في الصورة أيضاً طريق عقبة الحرف،[1] الرابط بين قرية الشفا التابعة لمحافظة الطائف وقرية يَلَمْلَم التابعة لمحافظة الليث.

١. العَقَبَةُ: المَرْقَى الصَّعب من الجبال، والجمع: عِقَابٌ، وفي تِهَامّة الكثير من العقبات وفي منطقة مكة المكرمة منها بالتحديد عدد غير قليل من العقبات الصعبة، ومنها على سبيل المثال: عقبة الحرف، وعقبة الهدا التي تربط الطائف بمكة، وعقبة المحمدية التي تربط الشفا بساحل البحر الأحمر وغيرها.

جبل يَلمْلَم (الحرقفة)

قرية يَلمْلَم ويظهر في الصورة مسجد الميقات.

بئر غمرة

وادي يَلَمْلَم

صورة عفوية حديثة يظهر فيها ما يشبه قوافل الحجاج قديماً وهي تقطع وادي يَلَمْلَم باتجاه مكّة المكرمة.

ثانياً: قرية السَّعْدِيَّةِ:

السَّعْدِيَّةِ: قرية صغيرة من قرى قبيلة الجحادلة تقع في أسفل وادي يَلَمْلَم جنوب مكة تقع على بُعد ٨٥ كم شمال شرق محافظة الليث و١٠٠ كم جنوب مدينة مكة المكرمة،[1] ويتبعها قريتان، هما: طفيل: وتقع على بُعد ١٨ كم غرب المركز. وعواها: وتقع على بُعد ١٢ كم شمال شرق المركز.

وموضع السَّعْدِيَّة كان مَحْرمًا لأهل اليَمَن من القرن العاشر الهجري إلى نهاية القرن الرابع عشر.

يقول المؤرخ التركي أيوب صبري باشا في كتابه مرآة جزيرة العرب، بعد أن وصف تنظيم الوزير مصطفىٰ باشا والي اليَمَن لموكب المَحْمِل الشريف باسم مَحْمَل صنعاء اليَمَن سنة ٩٦٣هـ وكيف كان يُستقبل المحمل عند وصوله إلىٰ مكّة المكرّمة، والقرى التي يعبرها المحمل: «ثُمّ تصل مرحلة (سَعديّة) التي تُعد مِيقَات سكان تِهَامَة اليَمَن. وتعتبر مرحلة سَعديّة هذه من أكثر المراحل ماءً، وتبعد عن منزل يَلَمْلَم ثمّانية

١. ينظر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، حمد الجاسر، ٢: ١١٢ـ ٧٢٠.

عشر ميـلاً». [1]

وإلى هذا يشير الشاعر اليَمَني ابن اسحاق الصنعاني (ت١٢٦٦هـ) في قوله:

وبعـدَهُ سرنـا إلى يَلَمْلَـم ميقاتنـا في قصدنـا لِلحـرم

وهـو يُسـمّى الآن بالسَّـعديّه باسـمِ بئـرٍ عَذبـةٍ هنيَّـه

ومن أشهر معالم السَّعْدِيَّة: مسجد المِيقَات، وبئر السَّعْدِيَّةِ، وجبلا شامة وطفيل.

مسـجد ميقات السَّـعْدِيَّة: ويسـمى مسـجد المِيقَات القديم، ومسـجد معـاذ بن جبل، وهـو المـكان الـذي كان يُحْرم منه سـالكو طريـق اليَمَـن التِهَامي منـذ بداية القـرن العاشر الهجـري وحتّـى بداية القـرن الخامس عـشر الهجري.

بئـر السَّـعْدِيَّة: وهـي بئـر قديمة عليها مضخـة كهربائية تنقـل الماء إلىٰ خـزان منصوب عـلىٰ حافـة الـوادي اليسرى، وقيـل إنَّ العامر لهـذه البئـر أو الآمر بها الإمـام علي صلوات الله عليـه،[2] وقيـل إنّ العامـر لهـا محمد بـن علي خـان أحد سـلاطين الهند عـام ١٢١١هـ، اسـتناداً للوحـة عُثـر عليها ملصقة عـلى الجدار الداخـلي للبئر.

والراجح عندي أنّ العامر للبئر الإمام علي عليه السلام وأنّ سلطان الهند

قـد أعـاد تعميرها، ومـا يرجح ذلـك بئر البيضـاء الموجـودة في وادي يَلَمْلَـم التي قيل إنَّها مـن تعمـير الإمام عـلي عليه السلام أيضاً.

---

١. مـرآة جزيـرة العـرب، ٢: ٢٤٦، بدايـة المحمـل اليمنـي وانقطاعـه، ترجمـة الدكتور أحمد فـؤاد متولي والدكتـور الصفصـافي أحمـد المرسي.

٢. ينظـر: كتـاب رحلـة الحجّ من صنعـاء إلى مكة المكرمة للعلّامة إسـماعيل جغمان الخـولاني الصنعاني ـ رحلـة العلّامة إسـماعيل للحـجّ كانت عام١٢٤١هــ، تحقيـق وتعليق الدكتور محمـد الثنيان، الكتاب التاسـع مـن إصـدارات دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٦هــ، وعنوان الكتاب قبـل التحقيق: نيل الوطر في أحـوال السـفر إلى الحـرم الأزهـر والنّبيّ الأنـور صلى الله عليه وآله، وعدد ورقـات المخطـوط ٨٠ ورقة، وتوجد نسـخته الوحيدة في مكتبة الجامع الكبـير في صنعاء.

جبـلا شـامة وطفيـل: مـن أشـهر جبـال وادي يَلمْلَـم، وهما اللـذان ذكرهمـا بلال بن رباح، بقوله:

أَلَا لَيْـتَ شِـعْرِي هَـلْ أَبِيتَـن لَيْلَـةً ... بِفَـخّ وَحَـوْلِي إِذْخِـرٌ وَجَلِيـلُ

وَهَـلْ أَرِدَن يَوْمًـا مِيَـاهَ مِجَنّـةٍ ... وَهَـلْ يَبْـدُونْ لِي شَـامَةٌ وَطَفِيـلُ

بئر السَّعْدِيَّة التي قيل إنَّ العامر لها الإمام علي عليه السلام ويظهر في الخلف مسجد الميقات أو مسجد معاذ بن جبل.

صورة حديثة لبئر السَّعْدِيَّة ومسجد الميقات

ثالثاً: قرية سَعيا:

سَـعْيَا: بفتح السـين وسـكون العين ثم يـاء مفتوحة بعدهـا ألف، قرية صغـيرة تقع في أسـفل وادي يَلَمْلَـم عـلى بُعـد ٦٠ كم شـمال مدينة الليث، وعـلى بعد ١٢٥ كـم من مكّة، وهـي بالأصـل وادٍ لـلأشراف الشـنابرة جنـوب ميقات يلملم، ليسـت به زراعـة وأرضه كثـيرة السـاقي لقربه من البحـر، ومن أشـهر معالمها مسـجد المِيقَات الحالي. انظر الشـكل رقم (٢).

والقريـة مـن قـرى وادي يَلَمْلَم القديمـة فقد ورد ذكرها في الشـعر الجاهـلي، وفي هذه القريـة كان يعيش الشـاعر الجاهـلي تَأَبَّط شرّاً.

قالت جنوب الهذلية ترثي أخاها عمرو بن العجلان الكاهلي:

أَبلِـغ بَنـي كاهِـلٍ عَنّـي مُغَلغَلَـةً ... وَالقَـومُ مِن دونِهِـم سَـعيا وَمَركوبُ

أَبلِـغ هُذَيـلاً وَأَبلِـغ مِـن يَبَلِّغُهـا ... عَنّي رَسـولاً وَبَعضُ القَـولِ تَكذيبُ

بِـأَنّ ذاَ الكَلـبِ عَمـراً خَيرُهُـم نَسَـباً ... بِبَطـنِ شَريـانَ يِعوي عِنـدَهُ الذيبُ.[1]

فَلَـم يَرَوا مِثـلَ عَمرٍو ما خَطَـت قَدَمٌ ... وَلَـن يَـرَوا مِثلَـهُ مـا حَنَّـتِ النِيَـبُ

فَاِجـزوا تَأَبَّـطَ شَرّاً لا أَبـا لَكُـم ... صاعـاً بِصـاعٍ فَـإِنَّ الـذُلَّ مَعتـوبُ

ويقول ساعدة بن جؤية الهذلي يصف غَيْثاً:

لمـا رأى نَعْـمان حَـل بِكُـرْفِىء ... عَكْـرٌ كـما لبـخ البَـزُول الأرْكَـبُ

فالسـدر مختلـجٌ وأُنـزل طافيـاً ... مـا بـين عـين إلى نباتـى الأثـابُ

والأثـل مـن سَـعْيا وحَلْيَـة منـزلٌ ... والـدَّومُ جـاء بـه الشـجون فعُلْيَـبُ

---

١. شريان: جبل من جبال وادي يَلَمْلَم وأحد أودية الوادي أيضاً.

صورة حديثة لمسجد المِيقَات الحالي في قرية سَعيا ويظهر في الصورة رفيقا الرحلة السيد الدكتور عادل والأستاذ مرزوق ويتوسطهما الشريف سامي الشنبري.

الطرق إلى ميقات يَلَمْلَم:

تعـددت طرق الحـجّ اليَمَنيـة واختلفت مسـاراتها، وتعـددت كذلك المدن التي تسـير

منهـا، ولعـل أهـم المـدن اليَمَنية التـي كانت تنطلـق منها جموع الحجـاج اليَمَنيـين إلى مكة هي عـدن، وتعز، وصنعـاء، وزبيـد، وصعدة.

ويُعتـبر الطريق السـاحلي الـدولي الذي يربط اليَمَن بالسـعودية من جانب والسـعودية بـالأردن مـن جانب آخـر من أسـهل الطرق مـن اليَمَن وجنـوب المملكة إلى سـعيا حيث يوجد مسـجد الميقـات الحالي.

وكيـف مـا كان فالطـرق مـن اليَمَـن إلى مكـة ـ بشـكلٍ عـامّ ـ عبـارة عن أربـع طرق: أحدهـا سـاحلي ويَمُـرّ بميقـات يَلَمْلَـم، والطـرق الأُخـرى داخليـة وتمـر بميقـات قـرن المنازل:

الطَّرِيـق السـاحلي المـار بميقـات يَلَمْلَـم: يبـدأ مـن منفـذ الطـوال ـ منفـذ المملكة مع شـمال اليَمَـن ـ ويتجه شـمالاً بمحاذاة سـاحل البحـر الأحمر مـاراً بمدينة جـازان، ومدينة القنفـذة، ومدينـة الليـث حتّـى يصل ميقـات يَلَمْلَـم الحـالي الواقع بقريـة سَـعيا ومنه إلى مكة .

الطـرق الداخلية المـارة بميقات قرن المنازل (السـيل الكبير): وهي عبـارة عن طريقين أحدهمـا للقـادم من جنوب اليَمَـن والآخر للقادم من شـمال اليَمَن:

الطريـق الاوّل: يبـدأ مـن منفـذ الوديعـة ـ شرورة ـ تثليـث ـ بيشـة ـ الطائف ـ السـيل الكبـير ـ مكة.

الطريق الثاني: يبدأ من منفذ الطوال ثُمّ ينقسم إلى مسارين على النحو التالي:

١. المسار الأوّل: أبها ـ الباحة ـ الطائف ـ السيل الكبير ـ مكة.

٢. المسـار الثـاني: خميس مشـيط ـ بيشـة ـ الطائـف ـ السـيل الكبير ـ مكة. أنظر شـكل رقم (٧).

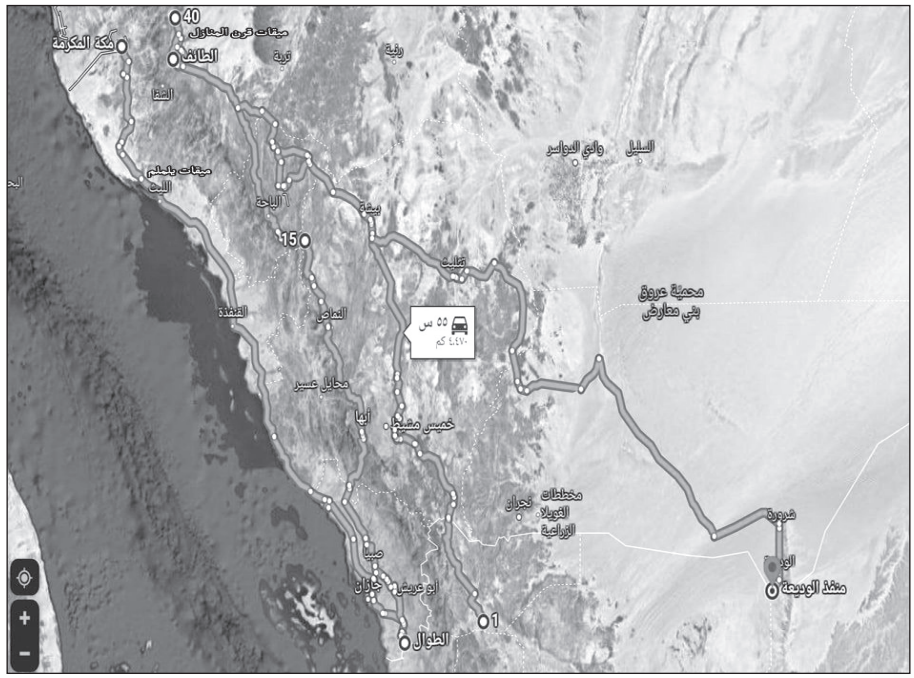

شكل رقم (٧) صورة فضائية حديثة للطرق الرابطة بين اليَمَن والسعودية، ويظهر فيها الطرق الداخلية المارة بميقات قرن المنازل، والطريق الساحلي المار بميقات يَلَمْلَم.

بقي أن أشير إلى أنه يوجد طريق تُرابي يُعرف بطريق عقبة الحرف ـ طريق جبلي وعر وخطير جدّاً ـ يربط بين قرية الشفا في الطائف وقرية يَلَمْلَم ويبلغ طوله ٢٠ كم تقريباً.

يَلَمْلَم في الأدب العربي:

بعد هذا التطواف العلمي حول وادي يَلَمْلَم الذي يحتضن ميقات يَلَمْلَم لابُدّ من الترويح بتطوافة أدبية نذكر فيها بعض الشعر العربي، فقد تغنىٰ الشعراء العرب بوادي يَلَمْلَم مثله مثل غيره من أودية الحجاز، ومنه:

قول حسان بن ثابت:

وَلَـو وُزِنَـت رَضـوى بِحِلـمِ سَراتِنـا لَمـالَ بِرَضـوى حِلمُنـا وَيَلَملَـمِ

وقول العجلاني:

فمداريجهـا يَلَمْلَـم فالعُمـ ـــق فتلـكَ السـواحل اليَهـمَاء

وقَولَ صَخْرُ الغَيِّ الهذلي يصف سحاباً:

فأَصْبَـحَ مَـا بَـيْنَ وَادِي القُصُـو رِ حَتَّـى يَلَمْلَـم حَوْضـاً لَقِيفَـا

وَقَالَ قَيْسُ بنُ زُهيْرٍ العبْسِيُّ:

كَأَنِّي إِذ أَنَخْـتُ إِلى ابْـنِ قُـرْطٍ عقَلْـتُ إِلى يلَمْلَـمَ أَوْ نَضَـادِ

وقَول عَبَّاس بن مِردَاس يَمْدَحُ رَسُولَ اللهﷺ:

أَطَعْنَـاك حَتَّـى أَسـلَمَ النَّـاسُ كُلُّهُـم وَحَتَّـى صَبَحنَـا الجَمـعَ أَهـلَ يَلَمْلَـمَا

وقول أبي دَهْبل الجُمَحي يصف ناقةً له:

خَرَجْـتُ بِهـا مِـنْ بَطـنِ مكَّـة بَعدَما أَصَـاتَ المُنَـادي لِلصَـلاة وَأَعْتَـما

فَـمَا نَـامَ مِـنْ رَاعٍ وَلا ارْتَـدَّ سَـامِرٌ مِـنَ اللَّيْـلِ حَتَّـى جَـاوَزَتْ بي يَلَمْلَمَا

وقـول سَـلْمى بـن المُقَعـد القُرمـي: إِنَّـا نَزَعْنـا مِـنْ مَجالِـسِ نَخْلَـةٍ

فنُجيـزُ مـن حُثُـنٍ بَيَـاضَ أَلْمْلَـمَا

وقول طُفيل الغنوي:

وسَـلهَبَةٌ تَنضُـو الجِيـادَ كأَنَّهـا رادة تدلـتْ مـن فـروع يَلَمْلَـمِ

وقول ابن مُقبل:

تُراعـي عنـودًا في الـرداة كأنهـا سُـهَيْلٌ بَـدَا في عَـارِضٍ مِـنْ يَلَمْلَـمَا

وقول السيد جعفر الحلّي:

والليـلُ يَشـهدُ لي بـأنيَّ سـاهرٌ إن طـابَ للنـاسِ الرُّقـادُ فهوَّمـوا

مِـنْ قُرحَـةٍ لَـوْ أنهـا بيَلمْلَـمٍ نَسِـفَتْ جوانِبَـهُ وسـاخَ يلَملَـمُ

وقول أبي تمام:

وَلَقَـد جَهَدتُـم أَن تُزيلـوا عِـزَّهُ فَـإِذا أَبـانٌ قَـد رَسـا وَيَلَملَـمُ

وقول السيد حيدر الحلّي:

أمـا وسـاعتك التـي بيَلمْلَـم زالـت ومـا أعنـى سـواك يَلمْلَـما

وقول أديب مكة عبد العزيز الزمزمي:

ألمت بنـا الأفـراح لمـا تبـاشر وصاحت حداة الركب هذي (يَلَمْلَم)

أنيخـوا المطايـا وانزلـوا وتغسـلوا وصلـوا ولبـوا خاضعـين وأحرمـوا

وقول الشاعر المعروف أبي العلاء المعري:

تَمَنّيـتُ أَنّي مـن هِضـابِ يَلمْلَـم إذا مـا أتـاني الـرُّزْءُ لم أَتَلَمْلَـمِ

وقول السَّيِّد المرتضى:

وَلَـك المدائـنُ والسـفائنُ كلُّهـا وَلـه يلمْلَـم والجنـوبُ إِلَى قَـرَنْ

وقول الشريف الرضي يرثي والده:

اليـوم أغمـدتُ المُهنـدَ في الثَـرى ودَفَنـتُ هَضْـبَ مَتالـع ويَلَمْلَـم

وقوله الآخر:

إنّي وإن ضرب الحِجـابُ بطـودِه أو حَـال دُونـك يذبـلٌ ويَلمْلَـم

وقول الوزير أبي منصور محمد بن الحسن:

إلىٰ كـم تَصبّـاني الغـواني وبينهـا وبينـي عفـاف مثـلُ طـود يَلَمْلَـم

وقول ابن المنجم المصري:

تمُـرّ سـفيهاتُ الريـاحِ عواصفـاً فهل زعزعـتْ ضَعْفاً نبات يَلَمْلَـمِ

وقول ابن إسحاق الصنعاني (ت ١٢٦٦هـ):

وبعـدَهُ سرنـا إلى يَلَمْلَـم مِيقَاتنـا في قصدنـا لِلحـرم

وهـو يُـسمّى الآن بالسَّـعديّه باسـمِ بئـرٍ عَذبـةٍ هنيَّـه

وقول الشيخ محمد حسين شمس الدين يرثي ابن عمّ له:

يا طود هاشـم كيـف صدعك الردى وذراك امنـع مـن هضـاب يَلَمْلَـم

وقول الشيخ أحمد بن مهدي الخطي القطيفي:

فـلا صلـح حتـى يسـتزل يَلَمْلَـم وحتـى يعـود القارضـان لمـن يـرى

رأيان محوريان:

بعد هذا التطواف العلمي حول يَلَمْلَم، يبقى السؤال الأهم:

هل ميقات أهل اليَمَن هو: خصوص جبل يَلَمْلَم أم وادي يَلَمْلَم بأكمله؟

أخـال أنّ الإجابـة عن السـؤال تقتضـي من ناحيـة منهجيـة الرجـوع أولاً للروايات الشريفـة حـول المواقيـت ـ بشـكلٍ عـامّ ـ لمعرفـة إذا مـا جـاء فيهـا ذكـر يَلَمْلَم عـلى وجه الإطـلاق أم مُقيداً.

وإذا مـا دققنا النظر في الروايات الشريفة سـوف نلاحظ أنّها لم تُقيـد الإحرام من يَلَمْلَم بموضـوع محـدد كما هو الحـال في ميقات ذي الحُلَيْفَة عندما قيدته بمسـجد الشـجرة، أو في ميقـات العقيـق عندما قيدتـه ببريد البعث والمسـلح وغمـرة، وفي هذا دلالـة واضحة على أنّ وادي يَلَمْلَـم بأكملـه يصحُّ أن يكون مَحْرَماً وليس سـفح جبـل يَلَمْلَم فقط.

وطبيعـي جـدّاً أن تكـون المواقيت هي الأوديـة بأكملها مكانـاً للإحـرام خصوصاً إذا مـا علمنـا أنّ القافلة الواحـدة قديماً كانـت تضمّ الآلاف مـن الحجّاج، والمئـات من الإبل التـي كانـت تقلهم مـع أمتعتهم إلى مكـة المكرمة، والتاريـخ يذكر هكذا قوافـل وما كانت

تتعرض له هذه القوافل من سلب وقتل.

وهذا العدد الكبير من الناس والإبل من المؤكد أنهم بحاجة لمكان واسع ومريح ـ يسمى عند أهل الحجاز بالمراح ـ وسفح جبل يَلَمْلَم كما شاهدناه لا يشكل مراحاً بالنسبة لهذا العدد الكبير.

والقوافل قديماً تفضل أن تسلك أيسر الطرق ولأنّ قرية السعدية تقع داخل حدود وادي يَلَمْلَم والوصول لها أسهل أصبحت مَحرماً لأهل اليَمَن ومن يَمُرّ على الطريق الساحلي بدلاً من قرية يَلَمْلَم.

ومراد أهل تِهَامَة من يَلَمْلَم هو الوادي وليس الجبل، وهذا ما سيتضح من قول الشيخ البسّام ورأي السيد العاملي.

رأي الشيخ البسّام (ت ١٤٢٣ هـ):

يقول الشيخ البَسّام:.. وبعد التجول في المنطقة ـ يعني المنطقة التي يقع فيها وادي يَلَمْلَم ـ والمشاهدة وتطبيق كلام العلماء وسؤال أهل الخبرة والسكان تقرر لدينا: أنَّ مسمّى يَلَمْلَم الوارد في الحديث الشريف ميقاتاً لأهل اليَمَن ومن أتى عن طريقهم هو كُلّ هذا الوادي المعترض لجميع طرق اليَمَن الساحلي وساحل المملكة العربية السعودية، وأنَّ الاسم عليه من فروعه في سفوح جبال السراة إلى مصبِه في البحر الأحمر، وأنه لا يحلّ لمن أراد نُسكاً ومرّ به أن يتجاوزه بلا إحرام من أي جهة من جهاته وطريق من طُرقِه.

ويضيف:.. وجميع مواقيت الإحرام أودية عظام ولذا فإنّ الاحتياط أن يُحْرِم الحاج أو المُعتمر من الضفة التي لا تلي مكّة من الوادي لئلا يُعتبر متجاوزاً للميقات.[1]

١. تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، عبد الله البَسّام، تحقيق: محمد صبحي، :٣٦٢، مكتبة الصحابة، الشارقة ٢٠٠٦م.

رأي السيّد العاملي (ت ١١٣٩ هـ):[١]

لا يرى السيّد العاملي المكي قصر الميقاتية على جبل يَلَمْلَم، وذلك لعدة أسباب، منها:

١. لأنّ يَلَمْلَم في عُرف أهل تِهَامَة هو: اسم وادٍ عظيم ممتدّ تحت ذلك الجبل وفيه قرية هي منزل من منازل اليَمَن ويسمّى الآن بالسَّعْدِيَّةِ، ويطلقون عليها أهل البادية وأعراب تلك الجهة اسم يَلَمْلَم تسمية باسم الجبل، كما سُمّي قرن المنازل: وهو وادي باسم جبل صغير هناك.

٢. ولإجماع الناس على الإحرام من هذا الوادي المُسمّى بيَلَمْلَم وبالسَّعْدِيَّةِ، ولم ينقل عن أحدٍ من الفقهاء ولا غيرهم ذكر اختصاص الميقاتية بالجبل، كما ذكروا ذلك في مسجد الشجرة من ذي الحُلَيْفَة.[٢]

٣. ولأنّ نصوص أهل اللُّغة تدلّ على صدق يَلَمْلَم على المنزل والوادي، ففي نهاية ابن الأثير: (وهو ميقات أهل اليَمَن، بينه وبين مكة ليلتان).[٣] وهو ظاهر في إرادة المنزل، ولو كانت الميقاتية مُختصة بالجبل لذَكره، وكذا لو كان في عهد النبيّ صلى الله عليه وآله،[٤]

وأخال أنّ تبني السيّد العاملي القول بأنّ يَلَمْلَم وادٍ من أودية تِهَامَة يعود إلى كونه عاش في مكة فترة طويلة من حياته إلى أن توفّي بها، فهو ابن مكة وأهل مكة أدرى بشعابها ـ كما يعبرون ـ.

والراجح عندي أنّ المُراد من يَلَمْلَم ـ كموقع جغرافي على سطح الأرض ـ هو وادٍ من أودية تِهَامَة.

---

١. السيد محمد بن حيدر العاملي المكي: فقيه إمامي، وأديب وشاعر من جبل عامل بلبنان، هاجر إلى مكة فنُسب إليها، وتوفّي ودفن بها.

٢. شرائع الإسلام، ١: ٢٤١.

٣. النهاية لابن الأثير، ٥: ٢٩٩.

٤. إظهار ما عندي بمنسك الفاضل الهندي، للسيد محمد العاملي المكي، ١: ٧١، (بتصرف).

نتائج الدراسة:

١. يَلَمْلَم: اسم وادٍ من أودية تِهَامَة العظام.

٢. جبل يَلَمْلَم: جبل من جبال وادي يَلَمْلَم.

٣. يبلغ طول وادي يَلَمْلَم ٩٤ كم تقريباً.

٤. أنَّ قريتي السَّعْدِيَّة، وسَعيا (موضع الميقات الحالي) تقعان داخل حدود وادي يَلَمْلَم.

٥. أنّ الإحرام من قرى يَلَمْلَم، والسَّعْدِيَّة، وسَعيا يكون نصًّا لا محاذاة باعتبار أنّ وادي يَلَمْلَم ميقات بأكمله وليس خصوص الجبل الواقع في قرية يَلَمْلَم.

٦. أنّ قرى يَلَمْلَم، السَّعْدِيَّة، سَعيا وما حواليها من قرى تمثل الجزء المأهول من وادي يَلَمْلَم، والمنطقة الواقعة بين قرية الشفا في الطائف وقرية يَلَمْلَم (عقبة الحرف) الجزء غير المأهول من وادي يَلَمْلَم.

وأخيراً:

بما أنَّ وظيفة الفقيه هي بيان الحُكم الشرعي، وأنّ وظيفة المُكلّف تشخيص موضوع الحُكم، أرى أن يقتصر الفقيه في منسكه على بيان الحكم الشرعي ويحيل موضوع الحكم إلى مراكز دراسات الحجّ؛ لأنّه من الصعب عليه أن يُلم بكُلّ ما طرأ ويطرأ على مواقع المواقيت من تغيرات، فبعض المواقيت تغيرت أمكنتها عبر الزمن غير مرة ولغير سبب، والطرق المؤدية إليها تتغير أيضاً وباستمرار خصوصاً في عصرنا الحالي.

والحمد لله ربّ العالمين